ثلاث قصائد

. عـــمـــاد فـــؤاد ❖ .

١ ـ صقر

في دائرةٍ كاملةٍ
تَصْغرُ رويدًا رويدًا،
يُحلِّقُ هذا الصَّقرُ عاليًا
ثمَّ يهبطُ منقضًّا على الوردةِ الوحيدةِ
التي تتمايلُ يمينًا ويسارًا،
والصَّقرُ لا يتراجع.
يأخُذها مثلَ فريسةٍ
ويخلِّفُ القبر الوحيدَ
وحيدًا.

٢ ـ شظيّةُ خشب

ابنُ عامين...
وأسقطُ من فتحةِ السَّطحِ فوقَ قُنِّ إوزّاتِ جدَّتي
وأقومُ سليمًا دون خدشٍ.

غبيٌّ وغشيمٌ..
وأضعُ كفِّي كاملةً في مقلاةِ الزَّيتِ
التي تتراقصُ فوقَها دوائرُ الفلافلِ
تتورَّم يدي وتنتفخُ بمياهِ الزُّرقةِ
ولا أكرهُ الفلافلَ أبدًا
أَسقطُ من فوقِ تكعيبة العنب أمامَ دارِ جَدِّي على حجرِ الرَّحى
ولا أبكي وجعي،
لكنّني أبكي عنقودَ العِنب الذي هرستْهُ يدي
وهْي تتَّقي سقوطي!

صغيرٌ...
ألعبُ بالحصى والتُّراب وديدان الأرضِ،
أسرقُ زهورَ البرسيمِ كي أجفِّفَها في كتبي المدرسيَّةِ
وأذروها في الرِّيح،
أَخلعُ أسنانيَ اللَّبنيَّةَ خِفْيةً عن يدِ أبي الثقيلةِ
وأرمي بها إلى الشَّمسِ طامعًا في أسنانٍ
جديدةٍ أقوى وأجملَ،
أسرقُ بذورَ غيطِ خالي وأغرسُها في ماء النَّبعِ
كي تنموَ أشجارًا شفّافةً هكذا من أثر المياه،
وأحلمُ بظلٍّ أرى منه ما يختبئُ في الشَّمس.
نمتُ من التَّعب تحتَ أسرَّة أبناء جيراننا
وأنا أختبئُ من إخوتي كي لا أنام،
حبستْني الحياةُ في غرفٍ مفاتيحُها معلَّقةٌ في رقبةِ أمِّي
كي تخرجَ إلى السُّوق وتجلب مؤنَ الأسبوعِ.

❖ ـ شاعر من مصر، والنصوص من مجموعة شعريّة تصدر قريبًا في بيروت.

كانت الحياةُ كريمةً مع روحي؛
روحي التي أتأمَّلُها الآن
وأنا جالسٌ على حَجَرٍ في الظِّلِّ
أنظرُ إلى قلبي مشطوراً
يعدو على التُّرابِ في صورتين.

إيه...
طفولتي!
شظيّةُ الخشبِ التي اخترقتْ لحمي،
تحتَ الظّفرِ تماماً،
كلَّما حاولتُ نبْشها بإبرةِ الذّاكرة،
أهلكني الألمُ.

٣ ـ مرَّة واحدة ليست بكافية

كفِّنوها عشرَ مرَّاتٍ.
مرَّةٌ واحدةٌ ليست بكافيةٍ
مرَّتان...
ثلاثٌ...
أربع...
خمسٌ أو سبعٌ ليست بكافيةٍ.
تكفيها عشرُ مرَّاتٍ

كي تختبئَ جيِّداً من شمسِ الظَّهيرةِ،
ومن عيونِ الذين يمرُّونَ تحتَ النَّعشِ
وهم يحدِّقون
في خَطْوهم الهشِّ فوق ترابِ المقابرِ.

كَفِّنوا هذه الرُّوحَ جيّداً!
لفُّوها من رأسِها إلى أصابعِ قدميها بكتَّانٍ مصريّ.
اضربوا ظهرَ كفِّها الصَّغيرةِ لو همَّتْ بالتَّملصِ منكم.
ضعوا إصبعَ السَّبّابة من يُمناكم متقاطعاً أمام شفاهكم
كي تصمتَ عن الكلامِ.
قولوا لها أن تخْفضَ من صوتها
وهْيَ في حضرةِ هذا الجسد المُسجَّى
الذي جرجرتْه خلفَها عمراً بأكملِه.
قولوا لها أن تتأدَّب
وأن تطأطئَ الرَّأسَ أمامَ هاتين السَّاقين
اللتين سحلتْهُما في مشاويرَ ملفَّقةٍ،
وألاّ ترفعَ عينيها في عينيه.
علِّموها أن تبجِّلَ هاتين العينين
اللتين أذبلَهما السَّهرُ والأرقُ والبكاءُ والكتابةُ،
وأن تقبِّلَ هذه اليدَ التي كتبتْ ما أملتهُ عليها
دونَ مجادلةٍ.

قولوا لها إنَّها أفسدتْه بما فيه الكفايةُ

حتى صارَ عطِنًا كثمرةٍ معطوبةٍ.

أَرُوها معدتَه التي ربَّتْها على جوعٍ،

قَلْبَه الذي روَّضتْه كلبوةٍ

وجعلتَ منه حجرًا

لا ينحني أمام ندهةِ أمٍّ،

ولا يلينُ أمام نظرةٍ من عينِ أبٍ.

شُدُّوا أذنيْها كطفلةٍ شقيَّةٍ

وأنتم تغسِّلون شعرَها الطَّويلَ.

اجعلوها ترى الكدماتِ الزُّرقَ التي خلَّفتْها رعونَتُها

فوق قلبِه البارد.

جُرُّوها من شعرِها

وأوقِفوها منكَّسةَ الرَّأسِ

وأنتم تعدِّدونَ على أذنيها أسماءَ الكدماتِ:

أرأيتِ؟

هنا كدمةُ الصَّفعةِ الأولى

هنا كدمةٌ من قرصة الوحدة

هنا كدمةٌ من عضَّة الذِّكرى

هنا كدمةُ الفشل في إنبات جناحين تحتَ ذراعيه

هنا كدمةُ الخروجِ من العتمة الدّافئة وفتحِ عينين كاملتين في شمسِ أكتوبر

هنا كدمةٌ خلَّفتْها امرأةٌ شدَّتْ شالَها من بين كفّيه وغابتْ

وهنا كدمةٌ من أثرِ أصابعِ «آدمَ» العشرِ..

قولوا لها

إنَّ مرَّةً واحدةً ليست بكافيةٍ

مرَّتين...

ثلاثًا...

أربعًا...

خمسٌ أو سبعٌ ليست بكافيةٍ.

تكفيها عشرُ مرَّاتٍ

كي تختبئَ جيّدًا

من شمسِ الظَّهيرة.

بلجيكا